مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية
IUGJHR

المجلد الثالث والعشرون، العدد الثاني، 227–249 يونيو2015
ISSN 2410-3179

دور المقاومة الشعبية المغربية في مواجهة الوجود الصليبي في مملكة بيت المقدس 492- 583هـ/1099- 1187م

د. عبد الرحمن محمد مغربي[1،*]

[1]جامعة القدس المفتوحة، نابلس، فلسطين

تاريخ الإرسال (2014/11/24)، تاريخ قبول النشر (2015/03/01)

ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة دور المقاومة الشعبية المغربية(1) في مواجهة الوجود الصليبي في مملكة بيت المقدس حتى تحرير القدس عام 583هـ/1187م، وجاءت في أربعة أقسام: ناقش القسم الأول المقاومة الشعبية الفلسطينية التي جاءت كرد فعل على العدوان الصليبي على فلسطين بعامة ومدينة القدس بخاصة، هذه المدينة التي يحمل لها المسلمون كل معاني التقديس في مختلف بقاع العالم الإسلامي، وتم الحديث في هذا القسم عن المقاومة الشعبية الفلسطينية بالوسائل والطرق كافة، منها: المجموعات العسكرية، والعصيان المدني والمقاطعة الاقتصادية، وناقش القسم الثاني موضوع المقاومة الشعبية المغربية ضد الصليبيين على صعيد فردي وجماعي، واشتراكهم في الجهاد وتلاحمهم مع إخوانهم الفلسطينيين عن طريق الاشتراك كمتطوعين في الحملات الإسلامية ضد الغزاة، سواء أكانوا في طريقهم للحج أم منتهين من أداء فرائضه، على اعتبار أن الجهاد يضفي على مناسكهم الكثير من الأجر والثواب، وهو ركن رسّخه الإسلام أساساً وواجباً على جميع المسلمين، وتناول القسم الثالث نماذج من أدب المقاومة عند المغاربة في مجالين، الأول: أدب الفضائل الذي أسهب في الحديث عن أهمية القدس من النواحي الدينية، والثاني: الشعر: حيث اتصل الشعراء بالحشود البشرية، واستنهضوا الهمم لتحريرها والدفاع عنها، وناقش القسم الرابع آثار هذه المقاومة الفاعلة على الصعيد العسكري، واشتراكهم في الكثير من المعارك، واستقرارهم في القدس ضمن حارة المغاربة للدفاع عنها وحماية مقدساتها.

الكلمات المفتاحية: المقاومة الشعبية المغربية، الوجود الصليبي، مملكة بيت المقدس.

* البريد الالكتروني للباحث المرسل: amughrabi@qou.edu

(1) المغاربة نسبة إلى بلاد المغرب، ويمتد المغرب الإسلامي في شمال أفريقيا ابتداء من برقة وحتى شواطئ المحيط الأطلسي، إضافة إلى بلاد الأندلس وأجزاء من مصر غرب فرع دمياط من نهر النيل. للمزيد راجع: ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص77؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص183؛ الإصطخري، المسالك والممالك، ص33؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص62 – 66؛ ابن سعيد المغربي، كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، ص16.

The Role of Moroccan Popular Resistance against the Existence of Crusaders in Jerusalem Kingdom 492-583 A.H/1099-1187A.D

Abstract

This study handled the Moroccan Popular Resistance against the Existence of the Crusaders in Jerusalem Kingdom till the liberation of Jerusalem in 583 A.H/1187.A.D, The study consists of Three Parts:

The first part discussed the Palestinian popular resistance as a reaction against the Crusader invasion of Palestine in general and Jerusalem in particular because of its holiness and the status and respect that Jerusalem occupies in the hearts of Muslims in the whole world. This part talked about the popular resistance with all its means and methods including: military groups, civil mutiny and economic boycott.

The second part talked about the Moroccan popular resistance against the Crusaders at individual and group levels, and the Moroccan participation in the strife and coherence with the Muslim people through participation as volunteers in the Islamic campaigns against the invaders whether who were coming for the pilgrimage or finalizing its religious duties, as the strife brings to their rites of pilgrimage many rewards and merits, and this is a pillar which Islam has affixed as a basic approach and a duty upon all Muslims .

The third part handled models of the literature of resistance of the Moroccans in two fields. The first is the literature of virtues which talked in more details about the importance of Jerusalem in the religious aspects and the second with the Poetry as the poets contacted the people and raised up the efforts to liberate Jerusalem and defend it.

The fourth part discussed the impact of the active resistance at the military level, and the Moroccan participation in many battles and their residence in Jerusalem at the Moroccan Quarter to defend it and protect its holy places.

Keywords: Moroccan Popular Resistance, The Existence of Crusaders, Jerusalem Kingdom.

المقدمة:

يعد البعد الشعبي ركناً مهماً في دراسات الحروب الصليبية التي ركزت في جانب كبير منها على دور القيادات، ويبحث هذا البعد في الرموز التي انبثقت وسط الجماهير من علماء وفقهاء وشعراء، حين اتصلوا بالحشود البشرية، وأسهموا في تحريكهم، وإيقاظ الهمم للجهاد والمقاومة.

والواقع إن وجود أهل المغرب في فلسطين بدأ منذ فترة مبكرة من تاريخ الإسلام، وكان الاهتمام بالتواصل مع القدس ودعمها بالأشكال كافة واضحاً من خلال إنشاء الأوقاف لرعاية أهلها، والإنفاق على الموجودين فيها، وعلى زواياها التي تركت بصمات واضحة على الحياة العلمية فيها.

كما أصبحت زيارة القدس ومجاورة الحرم الشريف سُنّة متبعة منذ الفتح الإسلامي لتلك الجهات، وتوطدت مع الزمن وازدادت انتشاراً، وتعززت هذه السُنّة بتحرير القدس من الصليبيين عام 583هـ/1187م، وبما أقامه السلطان صلاح الدين الأيوبي"**ت عام 589هـ/1193م**" وخلفاؤه من بعده، من منشآت دينية ومدنية في القدس، وما حُبس على هذه المنشآت من أوقاف رصد ريعها للقاطنين فيها، أو القادمين إليها، فرادى وجماعات، للمجاورة فيها بين حين وآخر.

والواقع أننا نقف أمام شح المعلومات المتعلقة بالجهاد المغاربي ضد الوجود الصليبي في مملكة بيت المقدس وندرتها. ومن هذا المنطلق كان لا بد من توظيف الإشارات التي وردت في المصادر والتنسيق بينها. هذه الإشارات رغم قصرها وقلتها فإنها تدل على وجود إرادة شعبية للجهاد، ورغبة ملحة في المقاومة ضد الصليبيين.

وهدفت هذه الدراسة إلى إظهار دور المقاومة الشعبية المغاربية في مواجهة القوى الصليبية الاستعمارية، وبخاصة عند الحديث عن القدس التي كان لها حضور لدى المغاربة جميعهم، كما هدفت إلى إبراز النتائج المترتبة على هذه المقاومة، وأهمها استقرار المغاربة في القدس ضمن حارتهم الواقعة غرب الحرم القدسي الشريف، دفاعاً عن الوجود العربي الإسلامي في هذه المدينة، هذه الحارة التي بقيت قائمة حتى دمرها الاحتلال الصهيوني عام1387هـــــــ/ 1967م.

وجاءت الدراسة في أربعة أقسام: تناول القسم الأول منها المقاومة الشعبية الفلسطينية في مواجهة المحتلين، وأوضح القسم الثاني دور المغاربة في الجهاد حجاجاً وعلماء وفقهاء على أبواب القدس وأبواب دمشق، وأينما كانت المقاومة ضرورية وفاعلة، لزعزعة الوجود الصليبي في القدس. وفي القسم الثالث تم التركيز على الدور الثقافي للمغاربة أو ما عُرف بأدب المقاومة، والتحريض على الجهاد في سبيل تحرير القدس، وناقش القسم الرابع آثار هذه المقاومة الفاعلة على الصعيد العسكري، واستقرارهم في القدس للدفاع عنها وحماية مقدساتها.

لقد كان تفاعل المغاربة مع قضية القدس باعتبارها قضية العالم الإسلامي آنذاك، من الأمور التي سعى الباحث إلى دراستها وتوثيقها وتوضيح معالمها، في ظل حروب راوحت بين مد وجزر حتى تم تحرير هذه المدينة عام 583هـ/1187م.

1. المقاومة الشعبية الفلسطينية:

شهد الريف الفلسطيني حركة نزوح كبيرة إلى الجبال والكهوف المجاورة طلباً للأمن والحماية، أو نحو المدن المحصنة وفي مقدمتها مدينة القدس، التي تدفق إليها أعداد كبيرة من المدنيين هرباً من الجيوش الصليبية، واستعداداً للدفاع عنها بإمكاناتهم المتواضعة، في مواجهة جيوش ضخمة ومنظمة [(2)].

انطلقت حركة المقاومة الشعبية حتى قبل أن يحتل الصليبيون مدينة القدس مستغلين عدم معرفة العدو بطبيعة البلاد ومداخلها[(3)]. فقد قام سكان القدس باتخاذ الإجراءات الضرورية لحماية مدينتهم حيث جرت عملية تخزين واسعة للمواد الغذائية استعداداً للحصار، وتم تدعيم تحصينات المدينة، وتزويد المقاومين بالأسلحة، كما قاموا بطمر الينابيع حول المدينة خوفاً من أن ينتفع منها الغزاة[(4)].

ولعل استعداد أهل القدس للمقاومة كان سبباً في ممارسة الغزاة لمزيد من الدموية، فحين سيطرة الصليبيين على القدس عام 492هـ/1099م استهدفوا سكانها بمذبحة بشعة ارتكبت في ساحات الحرم القدسي الشريف وبين أروقته، وفي بقية أنحاء المدينة، وصفها عدد من المؤرخين المسلمين، بقولهم:"**... وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى، ما يزيد عن سبعين ألفا، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم، وعبادهم، وزهادهم، ممن فارقوا الأوطان، وجاور**

(2) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص70، 108؛ الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج1، ص400،416؛ البيشاوي، المقاومة الشعبية الفلسطينية، ص263.

(3) ريموند دأجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص237، 238؛ الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج1، ص420.

(4) الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج1، ص401؛ مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 116.

ذلك الموضع الشريـــف..." [5]، كما وصف بشاعتها أيضاً عدد من المؤرخين الصليبيين المعاصرين للحملة الصليبية الأولى منهم: فوشيـــه الشاتري[6] الذي قال: "**... وقد قطعت رؤوس ما يقرب من عشـــــرة الآف شخص في هذا الهيكل[المسجد الأقصى]، ولو كنت هناك لتلطخت قدماك حتى الكواحل بدماء القتلى. ماذا أقول؟ لم يبـــــق منهم أحد، ولم يرحموا امرأة ولا طفلاً**"، وقاموا بتفريغ المدينة من سكانها المسلمين حيث استولوا على بيوتهم وأمتعتهم[7].

اعتمد الفلسطينيون على أنفسهم في المقاومة منذ اللحظة الأولى ، فكانت الأخطار تحيط بالغزاة من كل جانب، حيث شن عليهم المقاومون حملات خاطفة في الطرق العامة، وداخل المدن قليلة السكان. وساعدت أسوار القدس المهدمة على شن مثل هذه الحملات ليلاً وقتل الغزاة وهم في البيوت التي استولوا عليها. وقد أدت هذه الحملات إلى هجرة معاكسة من القدس تمثلت في عودة الغزاة إلى بلادهم، وعلى إثر ذلك صدر مرسوم ملكي يؤكد مصالح وامتيازات من بقي موجوداً وصبر على قوة المقاومة، في محاولة لتثبيت وجودهم هناك [8].

وانطلقت عملية مقاطعة واسعة وعصيان مدني شامل، فلم يتعامل المسلمون معهم اقتصادياً، ولم يقدموا لهم أية خدمات، ولم يبيعوهم شيئاً لهم أو لحيواناتهم، أو يشتروا منهم، مما زاد من معاناة الغزاة[9]، كما رفض الفلاحون الفلسطينيون زراعة الأرض"...**وفضلوا أن يتحملوا المجاعة، على أن يزودوا الصليبيين بأي شيء...**" وفق تعبير أحد المؤرخين الفرنجة المعاصرين[10]، وكثيراً ما كان ينضم هؤلاء الفلاحون الذين أجبرهم الصليبيون على زراعة الأرض قسراً إلى الجيوش الإسلامية المهاجمة، ويمدونهم بمعلومات استخبارية عن القوات المحتلة، هذه المقاومة جعلت المحتلين يعيشون في حالة رعب شديد، ولم يجرؤ أحد منهم على السير منفرداً أو في مجموعات صغيرة خارج حصونهم[11].

وكان تنقل الغزاة بين المدن وقرب آبار المياه محفوفاً بمخاطر الاختطاف والقتل من قبل مجموعات المقاومة التي أطلق عليها الصليبيون" **اللصوص وقطاع الطرق**"[12]، ووصفوها بأنها الأكثر خطورة، وأن عناصرها أعداء يجثمون

(5) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص 222؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8،405- 406؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، جـ2، ص28؛ الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، جـ1، ص447.

(6) فوشيه الشارتري: ***Foucher de Chartres*** مؤرخ ورجل دين مسيحي شارك في الحملة الصليبية الأولى، ثم التحق بخدمة بلدوين الأول في الرها، وأصبح بعدها قسيساً له وانتقل معه إلى مملكة بيت المقدس، وبقي هناك حتى عام 520هـ/ 1127م وربما توفي بعد ذلك. الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص 10-11؛ العريني، مؤرخو الحروب الصليبية، ص 37- 44.

(7) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص 75- 76. للمزيد عن المذبحة المروعة التي اقترفها الفرنجة الصليبيون في القدس. راجع: ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص246- 247؛ الصوري، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج1، 436- 437.

(8) الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج1، ص472.

(9) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص81.

(10) الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج1، ص 471.

(11) المصدر السابق، ج1، ص549.

(12) توديبود، تاريخ الرحلة إلى القدس، ص315؛ الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص80 -81؛ البيشاوي، المقاومة الشعبية الفلسطينية، ص264.

على الباب[13]، وكانت هذه المجموعات في غاية الدقة والتنظيم من حيث الخطط القتالية، واستطلاع أخبار القوات الغازية[14].

وأشار إليهم عدد من الرحالة والمؤرخين الأوروبيين المعاصرين، حيث وصفوا دورهم الجرئ في مهاجمة الغزاة من خلال نصب الكمائن على الطريق، حيث يقومون بعمليات استطلاع ليلاً ونهاراً، ثم يظهرون فجأة، يهاجمون، ويختفون في الكهوف الصخرية. وكانت الطريق بين الرملة[15] والقدس هدفاً رئيساً لهم[16]، وهذا يعني أن الشريان الرئيس الذي يربط بين مملكة بيت المقدس بالغرب قد أصبح غير آمن، وأنه أصبح عرضة لضربات المقاومة، ولا شك أن ذلك قد أثر بشكل كبير على قدوم الحجاج المسيحيين وتنقلهم بين أوروبا والقدس.

وكانت مقاومة شعبية ناجعة في مواقع عدة، إذ نصب رجال المقاومة وهم في لباس عابري السبيل الكمائن على الطريق، وقطعوا الطريق البري بين أرسوف[17] ويافا[18]، حتى اضطر الملك بلدوين الأول[19]إلى نقل رجاله بحراً بين المدينتين[20]. بينما سلكت بعض القوات طرقاً فرعية هرباً من سيوف المقاومين، ومنهم من تفاجأ بهم فألقى بنفسه في البحر طلباً للنجاة [21].

وقد تمكنت إحدى مجموعات المقاومة من نصب كمين ومهاجمة قوة مقاتلة يقودها الملك بلدوين الأول، وتمكنت من جرحه وإصابته إصابة خطيرة[22]كادت تودي بحياته[23] قرب عتليت[24]عام496هـ/1103م، وقد رد عليها الملك

(13) الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج1، ص471.

(14) توديبود، تاريخ الرحلة إلى القدس، ص 317.

(15) الرملة : مدينة فلسطينية على الطريق بين يافا والقدس، عمرها الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، وأقام فيها الجامع الأبيض، واحتلها الفرنجة الصليبيون وهم في طريقهم لاحتلال مدينة القدس عام 492هـ/1099م. ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ3، ص69 – 70؛ عثامنة، فلسطين في خمسة قرون، ص74.

(16) سايولف، وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة، ص23. للمزيد راجع : دانيال الراهب، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة، ص69؛ الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص108، 142؛ الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، جـ1، ص487.

(17) أرسوف: مدينة فلسطينية مهجورة على ساحل البحر المتوسط تقوم بقاياها شمالي قرية الحرم قضاء يافا، وكانت مقراً لإقطاعية صليبية تتبع مملكة بيت المقدس، حررها الظاهر بيبرس عام663هـ/ 1265م. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص148، ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص235؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، جـ 4، ص350–365؛
Gibb,Arsuf, ,E. I [2],Vol.1,P.602.

(18) يافا: مدينة فلسطينية على ساحل البحر المتوسط جنوب حيفا، سقطت بيد الصليبيين عام 492هـ/ 1099م، وكانت تتبع مملكة بيت المقدس والميناء الرئيس لها، استعادها المسلمون في عهد السلطان الظاهر بيبرس عام 666هـ/ 1268م. ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ5، ص 426؛ محمود، يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، ص 19– 35.

(19) بلدوين الأول: ***Baldwin I*** أحد النبلاء الصليبيين الذين شاركوا في الحملة الأولى وأسس إمارة الرها، ثم توجه إلى مملكة القدس ليتولى أمورها بعد وفاة أخيه غودفري البويوني، وتوج فيها ملكاً حتى وفاته عام 512هـ/ 1118م. الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص103– 126؛ الصوري، ج1، ص477– 479؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص117– 230.

(20) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص 127.

(21) الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج1، ص 128.

(22) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص 130.

بإجراءات انتقامية ضد هذه المجموعات، وهاجم معاقلهم في الكهوف الجبلية الوعرة وأشعل فيها النيران ليجبرهم على الخروج والاستسلام[25].

وشملت الإجراءات الانتقامية السكان المدنيين، حيث جرى تفريغ عدد من المدن من سكانها المسلمين، وعلى رأسها مدينة القدس؛ وجلب الغزاة مجموعات من المسيحيين لتوطينهم فيها، ومارسوا سياسة التهجير القسري في جميع المواقع [26]، وقد بلغ من قسوة إجراءاتهم أن هاجر بعض سكان الريف في نابلس إلى دمشق بسبب ضغط الفرنجة عليهم وتجّبرهم فيهم، وجرى ملاحقتهم في أماكن عدة من فلسطين بغية القضاء عليهم[27].

لقد كانت مقاومة شعبية ملتهبة شارك فيها العامة والفقهاء والعلماء كما شاركت فيها المرأة الفلسطينية[28]، ووقف إلى جانبهم متطوعون من مختلف بلدان العالم الإسلامي، ومن هؤلاء المتطوعين الذين شنوا حرباً شعبية إلى جانب إخوانهم في فلسطين، مجموعات من المغاربة تطوعت للجهاد في سبيل تحرير الأرض والإنسان، حيث سطر التلاحم الفلسطيني المغاربي ملحمة مشرفة في تاريخ المقاومة الشعبية على أبواب دمشق خلال الحملة الصليبية الثانية عام 543هـ/ 1148م، حين تصدى الشيخ الحلحولي[29] والشيخ المغربي يوسف بن دوناس بن عيسى الفندلاوي[30] للصليبيين، وسقطا شهيدين دفاعاً عن عروبتها وإسلامها.

(23) يبدو أن هذه الإصابة قد أثرت على الملك بلدوين الأول وأدت إلى وفاته عام 512هـ/ 1118م.الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص162، 181؛ الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج1، ص567- 568.

(24) عتليت: بلدة فلسطينية على بعد (20) كم جنوب مدينة حيفا، بنى فيها الصليبيون قلعة عام 614هـ/1218م، واحتلتها إسرائيل عام 1367هـ/ 1948م، وتم تهجير الفلسطينيين منها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص85؛ فولففانغ، القلاع أيام الحروب الصليبية، ص92- 93.

(25) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص130؛ البيشاوي، المقاومة الشعبية الفلسطينية، ص272- 273.

(26) الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، جـ1، ص561؛ سلامة، التهجير القسري لسكان فلسطين في العهد الصليبي، ص204، 206.

(27) هاجر أهالي جماعيل "جماعين" وهي بلدة فلسطينية على بعد (16) جنوب غرب مدينة نابلس، إلى دمشق بسبب تجّبر الصليبيين بهم، وإرهاقهم بالضرائب، ومحاولة القضاء على علمائهم. للمزيد راجع: ابن طولون الصالحي، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ق1، ص 65-76؛ البيشاوي، جماعيل "جماعين" في ظل الحكم الصليبيي، ص348 -350.

(28) ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ص139- 140؛ البيشاوي، جماعيل" جماعين" في ظل الحكم الصليبيي، ص350 -352؛ شاهين، دور العلماء المسلمين في المقاومة ضد الفرنجة الصليبيين، ص15-40؛ سلامة، المقاومة الشعبية في نابلس وريفها ضد الوجود الصليبي، ص276- 277.

(29) الشيخ الحلحولي: عبد الرحمن الحلحولي نسبة إلى مدينة حلحول على الطريق الرئيس بين القدس- الخليل، على بعد(5) كم عن مدينة الخليل، وعلى بعد (30) كم عن مدينة القدس، استشهد على أبواب دمشق برفقة الفندلاوي. أبو شامة في أخبار الدولتين، الروضتين، جـ1، 191-192؛ عوض، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، ص6 – 25.

(30) الإمام يوسف الفندلاوي: نسبة إلى فندلاو في المغرب، قدم حاجاً وسكن مدة في مدينة بانياس، وتولى الإمامة فيها، ثم انتقل إلى دمشق، وله كتاب نشر في بيروت عام 1966م، باسم "فتاوى الفندلاوي". ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص464؛ ابن الأثير، الباهر في الدولة الأتابكية، ص89؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج8، ق2، ص 200؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص 452.

2. دور المغاربة في الجهاد ضد الوجود الصليبي في بيت المقدس:

بعد أن تمكن الغزاة من اقتحام أسوار القدس واستهدفوا سكانها كان هناك عدد من المغاربة المجاورين[31] في الحرم القدسي الشريف أو ممن كان في زيارته[32]. وقد ذهبوا ضحية هذه المذبحة المروعة التي اقترفها المحتلون. وبعدها بدأت الجهود الإسلامية تتحرك للرد على هذا التحدي، ووصل وفد من المستغيثين إلى بغداد طالبين النجدة من الخلافة: "**... وقاموا بالمسجد الجامع يوم الجمعة، فاستغاثوا، وبكوا، وأبكوا، وذكروا ما أصاب المسلمين بالقدس الشريف من قتل للرجال، وسبي الحريم والأولاد ونهب الأموال...**" [33] والواضح أنه لم تكن هناك استجابة لنداءاتهم الملحة في مواجهة هذا التحدي الكبير.

شارك المغاربة في المقاومة الشعبية متطوعين بشكل فردي وجماعي، وانخرطوا بشكل فاعل ومميز منذ البداية في المعارك التي خاضها الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي[34]على أرض فلسطين ضد الفرنجة الصليبيين منذ عام 499هـ/1105م، ومارسوا نوعاً من التعبئة في العالم الإسلامي من أجل قضية استرداد القدس، منها : ما قام به عالم مغربي– " **إنسان من الملثمين ملوك الغرب**" – داعياً إلى الجهاد والمقاومة من على منبر جامع القصر بمدينة بغداد، مطالباً بتوحيد جهود المسلمين والتصدي للمحتلين. وقد حارب هذا الفقيه الصليبيين هو ومجموعة من المغاربة في مواقع عدة في فلسطين حتى استشهد في إحداها، وتحدث عنه ابن الأثير فقال : " **فلما ولي الأفضل أحسن إليهم [المغاربة] واستعان بمن قاربه منهم في حرب الفرنج، وكان هذا من جملة من قاتل معه ... فقدم بغداد ثم عاد إلى دمشق، ولم يكن للمصريين حرب مع الفرنج إلا وشهدها فقتل في بعضها شهيداً...**"[35].

---

(31) سكن القدس وجاور فيها العديد من الفقهاء المغاربة، على رأسهم: أبو بكر الطرطوشي520هـ /1126م، وابن العربي ت 543هـ/1148م، وكان فيها طلاب علم في حلقات الحرم القدسي الشريف، ومدرسين في مدارسها المنتشرة في كل زاوية من زوايا هذه المدينة المقدسة،. للمزيد راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص308،417،722؛ ابن العربي، قانون التأويل، ص92؛ مختصر ترتيب الرحلة في الترغيب بالملة، ص203–211؛ الظبي، بغية المتلمس في تاريخ أهل الأندلس، ص352؛ المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 309.

(32) تفهم زيارة القدس في إطار العاطفة الدينية تجاه المدينة التي ضمت الحرم القدسي الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وشهدت معجزة الإسراء والمعراج، كما وردت في بعض الأحاديث الشريفة، والتي حضت المسلمين إلى الرباط فيها، وشد الرحال إليها، ولكن سقوط القدس في أيدي الصليبيين أضاف فريضة جديدة واجبة وهي ضرورة تحريرها للمزيد راجع: البخاري، صحيح البخاري: كتاب فضل الصلاة في مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مكة والمدينة، باب مسجد بيت المقدس، ج2، ص71، 73، رقمه : 1189، 1197؛ مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، ج2، ص1014، رقمه: 511،513؛ ابن الجوزي، تاريخ ابن الجوزي، ص45–48؛ الحافظ ضياء الدين المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص39 – 42؛ الدوري، القدس في الفترة الإسلامية الأولى، ص145؛ الهيلة، القدس وإشعاعها الثقافي في المغرب والأندلس، ص292ـ298؛ التازي، القدس والخليل في الرحلات المغربية، ص11.

(33) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص406؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج2، ص28.

(34) الأفضل بن بدر الجمالي: وزير فاطمي تولى الوزارة إثر وفاة والده بدر الجمالي عام487هـ/1014م، وحكم البلاد حكماً مطلقاً في غياب خليفة قوي، وأثناء وزارته احتل الصليبيون القدس عام 492هـ/1099م، وتوفي مقتولاً عام515هـ/1121م. ابن الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص60– 62؛ ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص 79؛

Wiet ,Al – Afdal . B. Bader Al Djamali_, E.I^2.,Vol.,I ,P.P. 215 – 216 .

(35) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص492.

ويبدو أن المغاربة كانوا يقومون بواجبهم الجهادي وهم ذاهبون للحج، على اعتبار أن واجبهم الجهادي يضفي على مناسك حجهم ثواباً من القدسية . وقد ذكر منهم أبو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الشيخ[36]، ومنهم من كان قدومه خصيصاً للجهاد والمقاومة على اعتبار أن هذا جزء من الرد الإسلامي على الحرب الدينية التي تشنها أوروبا ضد العالم الإسلامي، وكانوا خلال رحلتهم هذه يتعرضون إلى ألوان عدة من المشقات، مثل: الأسر والاعتقال أثناء مرورهم قرب الأراضي التي استولى عليها الصليبيون أو أثناء مقاومتهم لهم[37].

كما تحدثت أدبيات الحملة الصليبية الثانية التي توجهت نحو دمشق عام 543هـ/ 1148م، عن الشيخ المغربي يوسف بن دوناس بن عيسى الفندلاوي باعتباره بطلاً شعبياً تقدم متطوعاً لمواجهة الصليبيين على أبوابها وعمره يزيد عن ثمانين عاماً، مردداً: " **قد بعت واشترى فو الله لا أقلته ولا استقلته**"، مشيراً إلى قوله تعالى:**{ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}**[38]، واستمر يصارع الصليبيين أمام أسوار دمشق هو والشيخ الحلحولي، حتى سقطا شهيدين دفاعاً عنها[39].

وكان للمغاربة دور واضح في المقاومة الشعبية والتطوع في جيش نور الدين زنكي[40]، الذي تنبه لدورهم المميز في هذا المجال، فقام بالعديد من عمليات الفداء لأسراهم، وبذل كذلك الحكام والتجار والأغنياء جهوداً كبيرة، وأنفقوا من أموالهم الخاصة وأموال الوصايا المودعة لديهم، في سبيل فك أسرى المجاهدين المغاربة الذين وقعوا في الأسر خلال اشتباكهم مع الصليبيين[41].

وامتلك المغاربة خبرة بحرية متميزة على خلفية صراعهم مع القوى الاستعمارية الأوروبية في غرب البحر المتوسط، فاستعان بهم السلطان صلاح الدين الأيوبي في حروبه مع الصليبيين، حيث شارك المغاربة مجندين وبحارة في الهجوم البحري على مدينة عكا[42] العاصمة الاقتصادية لمملكة بيت المقدس الصليبية ومقر أسطولهم عام 575هـ/ 1179م، وتمكنوا من دخول الميناء وأحرزوا انتصارات باهرة، وثم نزلوا إلى البر ووصلوا قلعة المدينة

(36) ابن الشيخ: أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله المالقي، فقيه ومحارب، شارك في تحرير القدس عام 583هـ/1187م، توفى بمالقة سنة 604هـ/1207م. المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الصلة والموصول، ج2، ص175؛ الذهبي، سير أعلام النبلا، ج21، ص479؛ التازي، حي المغاربة، ص101.

(37) ابن منقذ، كتاب الاعتبار ص 81 – 82؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 252–253.

(38) سورة التوبة : آية 111 .

(39) ابن منقذ، الاعتبار، ص95؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص47–48؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج1، –192 191؛ الدواداري، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، ج6، ص550؛ عوض، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، ص9 – 11.

(40) نور الدين زنكي : قائد إسلامي تصدى للصليبيين، وأكمل فتح الرها إثر مقتل والده عماد الدين زنكي، ثم فتح مصر بوساطة قائده أسد الدين شيركوه عام 564هـ/ 1169م، وتوفي عام 569هـ/1173م. ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص450– 452، 533؛ ابن الأثير، الباهر في الدولة الأتابكية، ص 163– 174؛ ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج2، ص 289–340؛ Gibb,The Career of Nur-Al-Din,H. C.,Vol.,I,P.P.513–528

(41) ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ص81–82؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير ص253.

(42) عكا: مدينة فلسطينية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط شمال مدينة يافا، فتحها المسلمون سنة 16هـ/637 م، وهي واقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي منذ عام 1948م.أبو الفداء، تقويم البلدان، ص242؛ سلامة، عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة، ص35– 40.

وقتلوا حاميتها، وقد أشاد بذلك القاضي الفاضل عندما قال: "... **أن الأسطول المصري غزا غزوة أخرى... وكانت عدته في هذه السنة قد أضعفت وقويت... واحتلت به الرجال الذين يعملون في البحر، ويفتكون في البر، ومن هو معروف من المغاربة لغزو بلاد الكفر... وطوقت في الأحد حادي عشر جمادي الأولى ميناء عكا، وهي قسطنطينية الفرنج، وأخلت ساحل الفرنج بقتالها... وهذا مما لم يعهد من الأسطول الإسلامي مثله في سالف الدهر، لا في حالة قوة إســـلام ولا ضعف كفر ...**"[43].

وكان للمقاومين المغاربة شرف الدفاع عن الكعبة المشرفة أمام الحملة التي شنها أرناط "رينالد دي شاتيون" [44] أمير الكرك الفرنجي عام 578هـ/ 1182م وإفشالها، والذي هدف من ورائها إلى قطع طريق الحج على المسلمين، والعبث بمقدساتهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة[45].

وشارك المغاربة حتى بعد تحرير القدس في المعارك التي خاضتها القوات الإسلامية بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي حول مدينة عكا عام 587هـ/1191م، وقدموا خدمات للجيش الإسلامي هناك، – وكانت أيضاً دليلاً على اشتراكهم الفاعل في حرب التحرير هذه–، تحدث عنها الرحالة المسلم عبد اللطيف البغدادي[46] الذي زار معسكر السلطان صلاح الدين حول عكا، فقال: "**... وكان في العسكر أكثر من ألف حمام، وكان أكثر ما يتولاها المغاربة، يجتمع منهم اثنان أو ثلاثة ويحفرون ذراعين**[47] **فيطلع الماء، ويأخذون الطين فيعملون منه حوضاً وحائطاً ويسيرونه [يعملون له سوراً] بحطب وحصير، ويقطعون حطباً من البساتين التي حولهم ويحمون الماء في قدور، وصار حماماً يغسل الرجل رأسه بدرهم أو أكثر...**" [48].

(43) أبو شامه، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، ج3، ص45. للمزيد راجع : سعداوي، نظير، التاريخ الحربي المصري في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، ص121؛
Ehrenkerutz,Saladin in The Naval History of The Mediterranean Sea in The Middle Ages, P.P. 100-117.

(44) رينالد دي شاتيون: ***Rebaul de Chatillon*** مغامر فرنسي قدم إلى بلاد الشام ضمن الحملة الصليبية الثانية، تم أسره في معركة حطين عام 583هـ/1187م، وقتله السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد هذه المعركة عقاباً على أفعاله الشنيعة بحق المدنيين المسلمين. ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص130– 131؛ Schlumberger , Renaud de Chatillon .P.281.

(45) ابن جبير، رحلة ابن جبير ص32؛ للمزيد عن هذه الحملة. راجع: الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص 240؛ البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص124؛ أبو شامة، عيون الروضتين، ج2، ص92؛ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج2، ص127– 128؛ البنداري، سنا البرق الشامي، 212 – 213؛ سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص261 – 262.

(46) الرحالة المؤرخ عبد اللطيف، له كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بمصر، توفي عام 629هـ/ 1231م. البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص5– 9.

(47) الذراع : تنوعت الأذرعة في الإسلام، وتعددت من فترة إلى أخرى، فهناك الذراع المالكية وتقدر بحوالي(04 ,54) سم، وسادت في المغرب، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، ج3، ص 442–443؛ هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ص89؛ Hins , Dhira , E. I^2 , Vol , II. P.P . 231 – 232 .

(48) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص 94؛ ولم ترد هذه الرواية في النسخة المحققة من كتاب الإفادة والاعتبار.

3. نماذج من أدب المقاومة المغربية للوجود الصليبي في مملكة بيت المقدس:

أدب المقاومة من المجالات التي دعا فيها المغاربة – فقهاء و شعراء ورحالة– حكام المسلمين وقادتهم إلى تحرير القدس من يد الصليبيين، ودرء ما يحيط بها من أخطار، وقد أبدعوا في ذلك المجال إبداعاً يدل على استعدادهم للعمل من أجل تحريرها، ويمكن الحديث عن أدب المقاومة من خلال المجالات الآتية:

أولاً: أدب الفضائل:

أدب فضائل القدس يمثل نوعاً من التاريخ المحلي الممزوج بالجغرافيا التاريخية التي ارتبطت بالنواحي الدينية الخاصة بهذه المدينة، وتركز أدبياته على الأتي:

* القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وما جاء فيها حول الأهمية الدينية لمدينة القدس الشريف وما جاورها كونها أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، وعلى أرضها تمت معجزة الإسراء والمعراج، والدور الذي ستلعبه هذه المدينة في الحياة الآخرة كونها أرض المحشر والمنشر.

* وجود الكثير من أضرحة ومقامات الصحابة والصالحين على أرضها.

وقد أعطى استيلاء الفرنجة الصليبيين على القدس عام 492هـ/1099م دفعة قوية لأدب الفضائل المقدسي الذي تحدث بتفصيل عن مكانتها الدينية وضرورة تحريرها، في حين كانت هناك مرحلة أخرى لأدب الفضائل ظهرت بعد تحرير هذه المدينة على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي عام 83هـ/1187م، ركزت على التمسك بها والدفاع عنها أمام الأخطار الخارجية، ومن هنا يمكن التأكيد على أن أدب الفضائل يتأجج بازدياد الصراع حول القدس، وتخف حدته بشكل واضح عندما تتوقف الأخطار الخارجية أو تخف حدتها[49].

ويبدو أن كتب الفضائل وما فيها من آيات وأحاديث نبوية شريفة توسعت في الحديث عن الهالة الدينية التي تمتعت بها القدس، الأمر الذي ولد لدى الطوائف الإسلامية كافة شعوراً قوياً تمثل في الرغبة بزيارتها والمجاورة فيها، وقد شارك بعض الفقهاء المغاربة في هذا الأدب، منهم :

أبو إسحاق المكناسي:

أبو إسحاق إبراهيم بن إبراهيم بن يحيى بن أبي الحفاظ المكناسي من علماء مدينة مكناس[50]خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، ألف كتابه "**فضائل بيت المقدس وفضائل الشام**" أواخر القرن نفسه[51]، ولا تسعفنا المصادر بأكثر من ذلك عن حياته، ويبدو أنه قام برحلة إلى الشرق وزار مدينة القدس، ووضع خلال هذه الرحلة كتابه الخاص بفضائل بيت المقدس.

---

(49) للمزيد عن فضائل القدس وتدوينها. راجع: إبراهيم، فضائل بيت المقدس، ص45–46؛ العسلي، مخطوطات فضائل بيت المقدس، ص1– 16؛ ابن الفركاح، باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس، ص35–40؛ الحسيني الشافعي، الروض المغرس في فضائل البيت المقدس، "م"؛ بدوي، كتب فضائل بيت المقدس، م21، ع2، ص 306–307.

(50) مكناس: مدينة تقع في شمال المملكة المغربية، على بعد (140) كلم شرق العاصمة الرباط. شامي، موسوعة المدن الإسلامية، ص219.

(51) ابراهيم، فضائل بيت المقدس، ص93، 298.

وتوجد نسخة من مخطوط المكناسي في مكتبة جامعة توبنـــجن بألمانيا[52] ضمن مجموع رقم (26)، وتقع المخطوطة في (62) صفحة، ويقسم المخطوط إلى قسمين هما:

القسم الأول: يشمل من صفحة 1–34، وهو القسم الخاص بالقدس الشريف.

القسم الثاني: يتناول فضائل الشام، وهو من الصفحة (34) حتى نهاية المخطوط.

ويتحدث المكناسي في هذا الكتاب عن مواضيع كثيرة خاصة بالقدس منها : أهمية القدس الدينية، وفضل السكن فيها ومن سكنها من الصحابة، والأولياء، والصالحين، وفيه وصف للصخرة والمسجد الأقصى، وتحدث عن الأهمية الدينية للقدس مبيناً فضيلة الإحرام منها، وكتاب المكناسي من الكتب المهمة التي اعتمد عليها عددٌ ممن كتبوا في أدب الفضائل أمثال الإمام شهاب الدين محمد بن سرور المقدسي في كتابه "**مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام**" [53].

ثانياً: دور شعراء المغرب في التحضيضعلى الجهاد:

حمل الشعراء كغيرهم أبناء الأمة الإسلامية الدعوة إلى الجهاد ومقاومة الغزاة، وتوحيد الجهود الإسلامية المشتتة، ومن هذا المنطلق بدأ الشعراء بمهمة بث دعوة المقاومة واستنهاض الهمم للجهاد، وكان لقصائدهم أثر واضح في حض الكثير من عامة المسلمين والحكام لمواصلة كفاحهم، وتكثيف جهودهم للتحرير، كما خصصوا جزءاً من شعرهم لمدح القادة الفاتحين الذين أسهموا في مقاومة المحتلين[54].

وقد أدى الشعر دوره منذ اللحظة الأولى للغزو الصليبي، واستغل الشعراء كل فتح من الفتوح الإسلامية لتذكير الناس بضرورة مواصلة المقاومة لتحرير باقي المدن ومنها مدينة القدس الشريف[55] ومن الشعراء المغاربة الذين أكدوا أهمية القدس والدعوة إلى تحريرها، ومدح الحكام المسلمين الذين يسعون في سبيل ذلك الشاعر أمية بن عبد العزيز الأندلسي[56]، الذي أوضح في شعره دور الوزير الأفضل بن بدر الجمالي في حرب الصليبيين، داعياً إياه لتحرير القدس الشريف في قصيدة طويلة، منها :

هي العزائم من أنصارهـــا القـــدر وهي الكتائب من أشياعها الظـــــفر

جردت للدين والأســـياف مغمدة

بالبيض تسقط فوق البيض أنجمها والســـمر تحت ظلال النقع تشتجر[57]

---

(52) يبدو أن هناك نسخة أخرى في المكتبة الوطنية بتيرانا عاصمة ألبانيا برقم (443356). راجع:
http://www.sahab.net/forums/index.php?showtopic=39174 .

(53) شهاب الدين محمد بن سرور المقدسي: محدث عاش في مدينة القدس، وتولى التدريس في المدرسة التنكزية، وله مصنفات عدة منها: كتاب "مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام"، إفحام الممارى بأخبار تميم الداري، وتوفي عام 765هـــ/ 1363م. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج1، ص242؛ عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ج2، ص37– 38.

(54) الهرفي، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، ص121.

(55) شاهين، دور العلماء المسلمين في المقاومة ضد الفرنجة الصليبيين فى بلاد الشام، ص11 .

(56) أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني الأندلسي: عالم موسوعي في الطب والهندسة والفلسفة والتاريخ والشعر والموسيقى، رحل إلى مصر وعاش فيها، ثم انتقل إلى المهدية، وتوفي فيها عام 529هـــ/ 1134م. ابن الأبار، محمد بن عبد الله، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص 203– 204؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج1، ص501– 503.

(57) الداني، ديوان أبي الصلت أمية بن عبد العزيز، ص89 –92؛ عبد المهدي، بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، ص71– 74.

وأيدت الأقلام المغربية كل محاولة لتوجيه جهود المسلمين نحو القدس، فهذا الشاعر الحكيم أبو الحكم المغربي[58] يرثي الفقيه المغربي الفندلاوي الذي استشهد أثناء حصار الصليبيين دمشق خلال الحملة الصليبية الثانية عام543هـ/1148م، ويتحدث عن هزيمة الصليبيين على أبوابها في قصيدة، قال فيها:

أتانا مئتـــا ألف عديداً أو يزيدونـــا
وقلنا إذ رأينـــاهم لعل الله يكفينـــــا
وشيخـــاً فندلاوياً فقيهاً يعضد الدينـــا
وفتياناً تفانوا مـــن دمـــشق نحو سبعينـــا
وباقيهم إلى الآن من القتل يفرونـــا[59]

وهنا لا بد من الحديث عن ابن جبير شاعراً وليس رحالة فقط، حيث ذاع صيته بعد رحلاته إلى الشرق، ويبدو دوره واضحاً أثناء زيارته لمدينة دمشق عام 580هـ/1185م، وما قام به من الدعاية حول الأعمال التحضيرية التي يقوم بها السلطان صلاح الدين الأيوبي لتحرير فلسطين والقدس، حيث ساعد على استقطاب جالية مغربية للمقاومة ضد الصليبيين، وكان السلطان على علاقة وطيدة معه، ومدحه في مواقف عدة، ويبدو أن ابن جبير أكد له قوة الأساطيل الغربية، واستعداد المغاربة للإسهام في سبيل تحرير القدس[60].

وفي رحلته الأولى عام 578هـ/ 1183م، التي دونها بعنوان " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، لم يدخل مدينة القدس كونها تحت سيطرة الفرنجة الصليبيين، بالرغم من أنه زار مدناً فلسطينية عدة كانت محتلة مثل مدينة عكا، وبعد أن سمع بتحرير مدينة القدس من المحتلين قام برحلته الثانية بين عامي (585-ـ 587/1189-1191م) وفي ذلك قال المراكشي: "**ولما شاع الخبر المبهج للمسلمين جميعاً حينئذ بفتح بيت المقدس على يد السلطان الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب، وكان فتحه يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة، وكان ذلك من أقوى الأسباب التي بعثته على الرحلة الثانية...**" [61].

ولكن التفاصيل عن رحلته الثانية قليلة، وله رحلة ثالثة إلى الشرق قضاها متنقلاً بين مكة والقدس، ومجاوراً فيهما، متغنياً بالفتح القدسي في قصائد عدة جاء فيها:

وجئت إلى قدسه المرتضـــى فخلـــــصته من يد الكافـــر
وأعلـــيت فيه منار الـــدى وأحييت من رسمـــــــــه الداثـــر
فكم لك بالشرق من حامد وكم لك بالغـــــــرب من شاكر

(58) الحكيم أبو الحكم المغربي: عبيد الله بن محمد الباهلي، برع في الطب والشعر، وعمل طبيباً في مستشفى العسكر عند السلطان محمود السلجوقي، وتوفي عام 549هـ/1154م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـــ3، ص 123– 125؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص614– 627.

(59) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج1، ص192– 193.

(60) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص243–244؛ التازي، بلاد الشام في الوثائق الدبلوماسية المغربية، ص435 – 436.

(61) المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الصلة والموصول،جـــــ5، ق 1، 605–606. راجع كذلك: ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص243–244.

إذا الشـــعر صار شعار الفتـــى فناهيك من لقب شاعر[62]

وقال في قصيدة ثانية نظمها بعد الفتح القدسي:

بني الإسلام جدوا في الجهـــاد بسمـــــر الخط والبيض الحداد

وبيت المقدس يفرق كل يوم حذرا أن يعود إلى الأعادي[63]

وفي قصيدة ثالثة قال:

هو الفاتح البيت المقدس بعد ما تحامته سادات الدنا ومسودها

فضيلة فتح كان ثاني خليفـــة من القوم مبديها وأنت معيدها[64]

ومن الشعراء المغاربة كذلك الشاعر الحكيم عبد المنعم الجلياني[65]، الذي أفرد ديواناً خاصاً للقدس الشريف وتحريرها، سماه "ديوان المبشرات والقدسيات"، وقسمه إلى قســين، الأول : هو مرحلة ما قبل فتح القدس، وأنشد فيه قصائد تدعو إلى الجهاد والوحدة وأطلق عليه اسم:" المبشرات"، والثاني: وهو مرحلة التحرير سماه " القدسيات"، ومما قاله الجلياني في قصائد هذا الديوان مشيداً بالسلطان صلاح الدين الأيوبي : [*البحر الطويل*]

هو المسجد الأقصى وهم شوكة الوغى فما كان لولا الله يخلص معبدا

هنيئاً لبيت القدس الآن طـــهره وللناصر المنصور غبطته غـــدا

وقال كذلك : [*البحر البسيط*]

يا منقذ القدس من أيدي جـــابرة قد أقسموا بذراع الرب تدخلـــه

فأكذبوا كذبهم في وصف ربهـــم وصدق الوعد مأمونا مُحولـــه[66]

وهناك ديوان آخر للجلياني بعنوان: "ديوان الحكم وميدان الكلم"، يتحدث فيه عن مجاورته واعتكافه في القدس الشريف، وآفاقها الروحية. فيقول: [*البحر الطويل*]

مقيماً بضاحي ربع قدسك عاكفاً عكوف تجاف عن سوى ذلك الربع

أراقب من آفاق جودك نفحة تثبت ما يلقى على القلب والسمع[67]

وديوان ثالث يتحدث فيه عن الفتح القدسي وأهميته، ودور صلاح الدين في هذا الفتح، أطلق عليه اسم ديوان التدبيج أو "منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر[68]، أنشأ فيه قصائد في مدح السلطان صلاح الدين الأيوبي لفتحه القدس، مذكراً بأهمية القدس وضرورة المحافظة عليها.

---

(62) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج3، ص12، 372–373؛ المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الصلة والموصول، ج5، ق1، ص598.

(63) عبد المهدي، بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، ص197؛ بهجت، المستدرك على شعر ابن جبير، م29، ج1، ص211.

(64) الحريري، الحروب الصليبية ، ص156.

(65) عبد المنعم بن عمر بن عبد الله الجلياني : طبيب وشاعر، من أهل جليانة من منطقة وادي آش بالأندلس، عاش معظم حياته في دمشق، وكان مقرباً من السلطان صلاح الدين، وتوفي عام 602هـ/1205م، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، جـ 2، ص80– 82؛ المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج2، ص635–637.

(66) الجلياني، ديوان المبشرات والقدسيات، ص 144، 145.

(67) الجلياني، ديوان الحكم وميدان الكلم، ص 417 –420 .

وكما كان الجلياني شاعراً وطبيباً فقد كان فارساً محارباً كذلك، واشترك في جيش صلاح الدين في أكثر من موقعة، وفي إحداها أثناء حصار عكا عام 585هـــــــ/ 1189م، أصيب فرسه أثناء القتال[69].

4. آثار المقاومة الشعبية للمغاربة ضد الصليبيين في بيت المقدس:

تنبه الصليبيون لصلابة المقاومة التي يبديها المغاربة، وتكاتفهم مع إخوانهم المسلمين، فاتخذوا إجراءات عقابية بحقهم وبحق تجارهم ومن يمر منهم عبر مراكز الجمارك الحدودية، ومن هذه الإجراءات : فرض ضرائب إضافية عليهم عقاباً لهم على دورهم الجهادي، وقد ذكر ابن جبير ذلك فقال: " **وأكثر المعترضين في هذا المكس المغاربة، ولا اعتراض على غيرهم من جميع بلاد المسلمين، وذلك لمقدمة منهم احفظت الإفرنج عليهم، سببها أن طائفة من أنجادهم غزت مع نور الدين رحمه الله، أحد الحصون فكان لهم في أخذه غنى ظهر واشتهر، فجازاهم الإفرنج بهذه الضريبة المكسية ألزموها رؤوسهم، فكل مغربي يزن على رأسه الدينار المذكور في اختلافه على بلادهم. وقال الإفرنج : إن هؤلاء المغاربة كانوا يختلفون على بلادهم ونسالمهم ولا نرزأهم شيئاً، فلما تعرضوا لحربنا وتألبوا مع إخوانهم المسلمين علينا، وجب أن نضع هذه الضريبة عليهم، فللمغاربة في أداء هذا المكس سبب من الذكر الجميل في نكايتهم العدو يسهله عليهم ويخفف عنتهم عنهم ...**" [70]، كما كانوا هدفاً لعمليات انتقامية شنها الفرنجة الصليبيون في البحر والبر، أو ما يعرف اليوم بالقرصنة البرية والبحرية، عقاباً لهم على وقوفهم إلى جانب أخوانهم المسلمين في معركة الجهاد والتحرير[71].

وليس هناك شك أنهم شاركوا بشكل فاعل في معركة حطين وتحرير مدينة القدس، ضمن الجيوش الإسلامية عام 583هـ/1187م[72]، ويبدو أن السلطان صلاح الدين الأيوبي لاحظ تفانيهم في سبيل تحرير القدس فقدر لهم دورهم. فلم يكن من سبيل الصدفة تعيين الفقيه المغربي الأندلسي أبو الحسن علي بن محمد المعافري خطيباً في المسجد الأقصى، وفي هذا يقول المراكشي:" **ولما افتتح صلاح الدين بيت المقدس، التمس إماماً يكون خطيبه[المسجد الأقصى] وصاحب الصلاة فيه، فأجمع من حضر هناك من العلماء والأفاضل المشار إليهم على أنه لا أحق من أبي الحسن بذلك المنصب، فقدمه لذلك**". وبقي خطيباً فيه حتى وفاته عام 605هـ/ 1208م[73].

(68) هناك مخطوط من ديوان التدبيج أو" منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر. تحت رقم (1631 أدب عربي 238).

(69)الجلياني، ديوان المبشرات والقدسيات، ص45.

(70) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص247.

(71) ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ص 82؛ أبو شامة، تراجم رجال القرنيين السادس والسابع، ص186.

(72) عثامنة، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، ص214.

(73) المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الصلة والموصول، ج5، ق، ص315–316؛ الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص225.

وخلال المفاوضات التي جـــرت حول عكا بين ريتشارد قلب الأسد[74] والمــلك العادل[75] شقيق صلاح الدين عام 587هـ/1191م، أفرج ريتشارد عن أسير مغربي، كان قد أسر في المعارك الدائرة بين الطرفين، وأهداه للسلطان [76] لمعرفته باهتمام صلاح الدين بالمسلمين المفاربة، وبرهاناً على رغبته في نجاح المفاوضات الدائرة.

إن هذه الحادثة على بساطتها لها دلالات كبيرة، فهي توضح الدور الفاعل والمميز للمغاربة في المعارك التي دارت بين المسلمين والفرنجة الصليبيين من جهة، واشتراكهم الواسع في هذه الحروب من جهة أخرى، ولو لم يكن لهذا الموقف دلالة معينة لتم اختيار أسير دون النظر إلى جنسيته، أو المنطقة التي قدم منها.

وبعد تحرير القدس من أيدي الصليبيين، وما قام به المغاربة من جهاد في سبيل تحريرها، بنى صلاح الدين سياسته على إسكان المسلمين، والإكثار من التجمعات الإسلامية فيها وبخاصة حول الحرم القدسي الشريف، ولذلك مَنح المغاربة حياً "حارة" غرب الحرم القدسي الشريف، يكاد يكون ملاصقاً لحائط البراق، ويبدو أنه أعادهم إلى الحي الذي كانوا يقطنون فيه، وأجبروا على النزوح عنه تحت ضغط الغزو الصليبي.

ومن أجل تشجيعهم على القدوم والاستقرار في القدس وسع ابنه الملك الأفضل[77] من إقطاعهم، وقام بتسجيله ضمن سجلات المحكمة الشرعية في القدس كوقف لهم[78]، وبقي المغاربة يتوسعون في هذه الأوقاف، ويقتنون العقارات في القدس والمنـــاطق المجاورة لها، دفاعـــاً عن الوجود الإسلامي والعربي فيها، وتأكيداً لثباتهم في مدينة القدس الشريف [79].

وكان لهذه المقاومة صدى شعبي واضح، أخذ في بعض الأحيان جانباً أسطورياً دل على ما علق في وعي المسلمين من دور للمغاربة في المقاومة، عندما أشارت بعض الروايات إلى أن الخليفة الموحدي يعقوب بن يوسف

---

(74) ريتشارد قلب الأسد : ***Richard II The Lion Heart*** ملك إنجلترا، وأحد قادة الحملة الصليبية الثالثة عام 586هـــ/1190م، وصل عكا عام 587هـ/ 1191م، وقتل(2600) من أسرى المسلمين بعد احتلاله هذه المدينة من جديد، وعاد إلى بلاده بعد مفاوضات مع السلطان صلاح الدين الأيوبي انتهت بتوقيع صلح الرملة عام 588هـــــ/1192م؛ Hawthorn,The Third Crusade, P.P.10-50;Wallis , Richard The Lion Heart , E. B Vol ., I,P.P. 43- 45.

(75) الملك العادل: سيف الإسلام محمد بن أيوب شقيق السلطان صلاح الدين، وكان حازماً محنكاً في أمور السياسة، وقاد المفاوضات بين السلطان صلاح الدين والملك ريتشارد قلب الأسد، وتوفي سنة 615 هـ/ 1218م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـــ5، ص74 – 79؛ أبو شامة، تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين، ص 111.

(76) الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص 502.

(77) الأفضل: الملك الأفضل أبو الحسن علي بن يوسف بن أيوب، أكبر أولاد السلطان صلاح الدين، حضر مع والده معركة حطين عام 583 هـ/1187م، وكانت القدس من ممتلكاته عند وفاة والده، توفي عام 622هـ/1225م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص419؛ Gibb,AL Afdal, E. I 2 . ,Vol ., I,P.215.

(78) سجلات المحكمة الشرعية في القدس، سجل 77(1004هـ/ 1596م)، ص588..

(79) يوجد العديد من الوقفيات التي أوقفها المغاربة على مصالح القادمين من المغرب والمقيمين في فلسطين والقدس. منها: وقفية عين كارم التي أوقفها أبو مدين الغوث، وزاوية الشيخ عمر المصمودي، ووقفية السلطان أبو الحسن المريني. بخصوص ذلك راجع: الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل،جـــ2، ص96–97؛ سجلات المحكمة الشرعية في القدس، سجل229(1152هـ/1739م)، ص356؛ سجل403(1329هـ/1909م)، ص392 .

المنصور بالله[80] بعد أن انتهت فترة حكمه هاجر إلى بلاد الشام متخفياً لحرب الصليبيين، وأنه اتصل بنور الدين زنكي وطلب منه أن يقيم مشافي وزوايا للمرضى الغرباء المجاهدين[81] واستشهد وهو يحارب الصليبيين، وضريحه قرب قرية المجدل[82]، وأشارت الروايات كذلك إلى أبي مدين الغوث[83]الذي حوت زاويته في القدس الشريف سيفه الذي جاهد به في سبيل استرداد هذه المدينة [84].

الخاتمة:

تعرضت بلاد المغرب في تلك الفترة للمحن والمصاعب التي كابد منها المسلمون كافة، وإذا كانت بلاد المشرق قد بُليت بالحملات الصليبية الاستعمارية، فإن بلاد المغرب قد تكالبت عليها القوى الصليبية، وتعرضت لحملات الغزو والنهب في فترات مختلفة، وكان المغاربة يرون أن فريضة الجهاد لا تتجزأ، ويمكن أن يقوم بها المسلم على مختلف بقاع أراضيه، ولذلك قدم الكثير منهم إلى الشرق، حجاجاً ومجاهدين إيماناً منهم بقدسية معركتهم مع القوى الاستعمارية وإسلاميتها.

لقد نال الكثير منهم شرف الشهادة في فلسطين والقدس، وحمل العلماء والشعراء منهم على عاتقهم مهمة الوعظ والإرشاد وشحذ الهمم وتقوية النفوس، ليس هذا فحسب وإنما حملوا السلاح متطوعين مجاهدين على أرض معارك التحرير، وقاتلوا حتى نالوا شرف الشهادة في سبيل الدفاع عن المسجد الأقصى المبارك.

ومن خلال هذه الدراسة جرى عرض جهود المقاومة الشعبية للمغاربة في مملكة بيت المقدس الصليبية حتى تحرير القدس، كما في الآتي:

1- نظر المغاربة إلى المقاومة باعتبارها ركناً أساسياً من أركان الجهاد في سبيل الله في مختلف المناطق التي يقع فيها اعتداء على الأمة الإسلامية سواء في المشرق أو في المغرب.

---

(80) يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن : خليفة دولة الموحدين في المغرب والأندلس بين عامي 580- 595هـ/1184- 1199م، كان أديباً حافظاً للقرآن الكريم، انتصر على الإسبان في معركة الأرك عام 591هـ/1195م، واشتهر بحب الجهاد حتى أنه ألف رسالة سماها " فضل الجهاد في سبيل الله". سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج 8، ق2، ص 464؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص3–19؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ص269؛ المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، ص302.

(81) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص10؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج2، ص82–83؛ الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ج2، ص205.

(82) المجدل: تعرف باسم مجدل عنجر بلدة في البقاع اللبناني على بعد (55) كم من بيروت، ويذكر ابن بطوطة أن المقام بقرية "كرك نوح" في البقاع قرب زحلة. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج2، ص82؛ عجمي، تاريخ مجدل عنجر، ص 5- 15.

(83) أبو مدين الغوث: الفقيه محمد بن أبي مدين بن شعيب بن الحسن، رحل إلى الشرق والتقى بعدد من العلماء منهم عبد القادر الجيلاني، وتوفي في قرية رباط العباد قرب تلمسان عام 494هـ/ 1154م، وقد ترك أبو مدين ولداً اسمه محمد توفي عام 643هـ/ 1245م، وأنجب محمدٌ ولداً سماه أبا مدين- الحفيد-، الذي أوقف عين كارم بضواحي القدس، وتوفي بعدها بفترة قصيرة في القدس. التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص319- 326؛ التنبكتي، كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص27؛ العسلي، تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص، ص140- 144.

(84) التازي، حي المغاربة في القدس، ص 107- 108.

2- شملت جهود المغاربة الشعبية الفئات جميعها، حجاجاً ومتطوعين وفقهاء وعلماء مجاورين في القدس، تأكيداً لثباتهم فيها ودفاعاً عنها.

3- بقي حي المغاربة في القدس عنوان وجودهم واستمرارهم ومقاومتهم في القدس، لم يتعرض لمحنة التدمير من قبل الصليبيين فحسب، وإنما تعرض للتدمير على يد الصهاينة عام 1378هـ/1967م، وهذا يعتبر استمراراً لتكالب القوى الاستعمارية الاستيطانية على فلسطين بعامة، والقدس بخاصة.

4- تضاعف أعداد المغاربة في القدس، وساعدهم على ذلك الأوقاف التي منحها لهم القادة الأيوبيون وعلى رأسهم الملك الأفضل الذي أقطعهم حي المغاربة غرب الحرم الشريف، في وقف تم تسجيله ضمن أوقاف المحسنين المغاربة في سجلات المحكمة الشرعية في القدس الشريف.

المصادر والمراجع:

المصادر :

- القرآن الكريم.

سجلات المحكمة الشرعية في القدس: سجل77 (1004هـ/1596م)، ص588؛ سجل 229(1152هـ/1739م)، ص356؛ سجل 403(1329هـ/1909م)، ص392.

المصادر العربية المطبوعة:

- ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت658هـ/1327م): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم(ت 630هـ/1232م): الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات، ط1، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1963م.

- الكامل في التاريخ، ج12، دار صادر، بيروت، 1982م.

- الإصطخري، أبو إسحاق محمد بن إبراهيم (ت في النصف الأول من القرن4 هـ/10م): المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، القاهرة، 1961م.

- الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد (ت597هـ/1200م): البرق الشامي، ج5، حقق الجزء الثالث مصطفى الحياري، والجزء الخامس: فالح حسين، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، 1978م.

- الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، القاهرة، 1964م.

- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت 668هـ/ 1289م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج2، تحقيق نزار رضا، دار الحياة ، بيروت، 1965م.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ/ 869 م): صحيح البخاري، ج8، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1991م.

- البشاري المقدسي، أبو محمد بن أحمد (ت حوالي380هـ/990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987م.

- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله (ت779هـ/1377م): رحلة ابن بطوطة، ج2، تحقيق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، ط 4، بيروت، 1985م.
- البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي (ت629هـ/1231م): كتاب الإفادة والاعتبار، تحقيق أحمد سبانو، دار قتيبة، دمشق، 1983م.
- البنداري، الفتح بن علي (ت622هـ/1225م): سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة، 1979م.
- التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى(ت617هـ/1220م): التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، جامعة الملك محمد الخامس، ط 2، الرباط، 1997م.
- التنبكتي، أحمد بن أحمد بن عمر (ت1032هـ/1622م): كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج بحاشية الديباج المذهب لابن فرحون، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
- ابن جبير، محمد بن أحمد (ت 614هـ/1217م): رحلة ابن جبير، دار التراث، بيروت، 1968م.
- الجلياني، عبد المنعم (602هـ/1205م): ديوان الحكم وميدان الكلم، تحقيق فخري صالح سعيد، المكتبة البوليسية، بيروت، 1975م.
- ديوان المبشرات والقدسيات، تحقيق عبد الجليل عبد المهدي، دار البشير، عمان، 1989م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/1201م): تاريخ بيت المقدس، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د. ت.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي(ت 852 هـ/1448م): الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج5، تحقيق محمد سيد عبد الحق، دار الكتب الحديثة، ط 2، القاهرة، 1966م.
- الحريري، سيد علي (فرغ من تأليف كتابه عام (ت1317هـ/1899م)): الحروب الصليبية–أسبابها، حملاتها، نتائجها، تحقيق غسان شبارو، دار التضامن، دمشق، 1988م.
- الحسيني، أبو النصر تاج الدين عبد الوهاب بن عمر (ت875هـ/1470م): الروض المغرس في فضائل البيت المقدس، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2009م.
- الحنبلي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمي (ت927هـ/1520م): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2: ج1، تحقيق عدنان أبو تبانة، ج2: تحقيق محمود كعابنة، مكتبة دنديس، الخليل، 1999م.
- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (عاش في القرن4هـ/10م): صورة الأرض، منشورات دار الحياة، بيروت، د.ت.
- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت776هـ/1374م): أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، 1956م.
- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد إبراهيم (ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج8، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م.
- الدواداري، أبو بكر بن عبد الله (ت بعد736هـ/1335م): الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، ج6، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة،1961م.

– الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م): ،سير أعلام النبلاء، ج25، تحقيق بشار معروف ورفيقه، دار الفكر، ط 1، بيروت، 1984م.

– سبط بن الجوزي، شمس الدين (ت654هـ/1257م): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج8، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، 1952م.

– أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665هـ/1257م): تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، دار الجيل، بيروت، د. ت.

– كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، 5 جـ، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.

– عيون الروضتين في أخبار الدولتين، ج2، تحقيق أحمد البيسومي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،1991م.

– ابن شداد، بهاد الدين أبو المحاسن يوسف، (ت 632هـ/1234م): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين يوسف، ط2، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1994م.

– أبو الصلت، أمية بن عبد العزيز (ت529هـ/1134م): ديوان أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني، جمع وتحقيق وتقديم محمد المرزوقي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1974م.

– ابن الصيرفي، علي بن منجب (ت543هـ/1148م): الإشارة لمن نال الوزارة ، تحقيق عبد الله مخلص، د. ت.

– ابن طولون، محمد بن علي الصالحي(953هـ/1553م): القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ج2، تحقيق أحمد دهمان، دمشق، 1949م.

– الظبي، أحمد بن حيان (ت 599هـ/ 1202م): بغية الملتمس في تاريـــخ رجال أهل الأندلس، ج2، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.

– ابن عبد الظاهر، محيي الدين (ت 692هـ/ 1292م): الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط1، د. ن، الرياض،1976م.

– ابن العديم، كمال الدين عمر بن أبي جرادة (ت660هـ/1262م): زبدة الحلب في تاريخ حلب، 3 جـــ، تحقيق سامي دهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1954م.

– ابن العربي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت543هـ/1148م): قانون التأويل، تحقيق محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1990م.

– مختصر ترتيب الرحلة في الترغيب بالملة، تحقيق سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008 م.

– أبو الفداء، عماد الدين عمر بن إسماعيل بن محمد (ت732هـ/1331م): تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمود ديوب، ج2، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1997م.

– أبو الفداء، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت ، نسخة مصورة عن تحقيق البارون ماك كوكين ديسلان، باريس، 1840م.

– ابن الفرضي، عبد الله بن محمد (ت 403هـ/1013م): تاريخ علماء الأندلس، ج3، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.

- ابن الفركاح، برهان الدين إبراهيم بن التاج (ت729هـ/1329م): باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس، تحقيق أنور حلمي مصيعي، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس،1999م.

- ابن الفقيه الهمذاني، أبو بكر أحمد بن محمد(ت 340هـ/951-952 م): مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1988م.

- ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن محمد (ت5055هـ/1160م): تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1983م.

- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت821هـ/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج14، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، القاهرة، 1963م.

- المراكشـــي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت703هـ/1303م): الذيل والتكملة لكتابي الصلة والموصول، تحقيق إحسان عباس، الجزء الخامس، دار الثقافة، بيروت، د. ت.

- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت261هـ/874م): صحيح مسلم، ج4، دار الفكر، بيروت، ط2، 1978م.

- المغربي، ابن سعيد علي بن موسى (ت 685هـ/1286م): كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان فرنيط خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958م.

- المغرب في حلى المغرب، ج2، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر، ط 4، القاهرة، 1964م.

- المقري، أحمد بن محمد بن أحمد (ت1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج7، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997م.

- المقريزي، تقي الديـــن أحمـــد بن علـــي (ت845هـ/1441م): السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2 في 6 ق، حققها: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1956- 1958م، ج3، 4 حققها: سعيد عاشور، القاهرة، 1970- 1972م.

ابن منقذ، أسامة بن مرشد (ت 584هـ/1128م): كتاب الاعتبار" حياة أسامة"، تحقيق فيليب حتي، جامعة برنستون، 1930م.

- ابن ميسر، محمد بن يوسف بن علي (ت 677هـ/1278م): المنتقى من أخبار مصر، "انتقاه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي"، تحقيق أيمن فواد السيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1981م.

- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد (ت1315هـ/1897م): الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ج9، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م.

- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1298م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج5، تحقيق جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1957م.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله (ت626هـ/1228م): معجم البلدان، ج5، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

المصادر الفرنجية :

– توديبود، بطرس: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة حسين عطية، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1998م.

– الراهب، دانيال: رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدســـــة 1106–1107م، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي ورفيقه، ط1 ، د.ن ، عمان ، 1992م .

– ريموندأجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989م.

– سايولف: وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة" 1102–1103م، ترجمة وتعليق سعيد عبد الله البيشاوي، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان،1997 م.

– الشارتري، فوشيه: تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان1991م.

– الصوري، وليم: تاريخ الحروب الصليبية "الأعمال المنجزة فيما وراء البحار"، ج2، ترجمة سهيل زكار، ط1، دار الفكر، دمشق، 1990 م.

– مجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958 م.

المراجع العربية والمعربة

– إبراهيم، محمود (1985): فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة، الكويت، معهد المخطوطات العربية، القاهرة.

– التازي، عبد الهادي (1997): القدس والخليل في الرحلات المغربية، رحلة ابن عثمان نموذجاً، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "ايسيسكو".

– الدباغ، مصطفى مراد (1991): بلادنا فلسطين، 11ج، دار الهدى، كفر قرع.

– رنسيمان، ستيفن (1993): تاريخ الحروب الصليبيـــــــــــة ،3 جـــ، ترجمة الباز العريني، ط3، د.ن، القاهرة.

– سالم، السيد عبد العزيز ورفيقه(1981): تاريخ البحرية الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

– سعدواي، نظير (1957): التاريخ الحربي المصري في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

– شامي، يحيى، موسوعة المدن الإسلامية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م.

– شاهين، رياض، عبد الحميد الفراتي(2005): دور العلماء المسلمين في المقاومة ضد الفرنجة الصليبيين فى بلاد الشام (491–690هـــ/1098– 1291م)، غزة.

– عبد المهدي، عبد الجليل (1995): بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية، دار البشير للنشر والتوزيع، ط1، عمان.

– بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية ، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، (1989).

– عثامنة، خليل (2000): فلسطين في خمسة قرون (634– 1099)، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

- فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2006.
- عجمي، أحمد عبده (1992): أحمد عبده، تاريخ مجدل عنجر، د. ن، بيروت.
- العريني، الباز (1962): مؤرخو الحروب الصليبية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1962م.
- العسلي، كامل جميل (1986): تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص، ط1، دار الكرمل، عمان.
- مخطوطات فضائل بيت المقدس، مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، 1981م.
- عوض، محمد مؤنس (2011):أضواء جديدة على تاريخ الحروب الصليبية، دار الشيماء، رام الله.
- محمود، إبراهيم سعيد (1991): يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي(1099-1291م/492- 690م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الاسكندرية.
- مولر- فينر، فولففانغ (1984): القلاع أيام الحروب الصليبية،ترجمة وليد الجلاد، مراجعة سعيد الطيان، ط2، دار الفكر، دمشق.
- الهرفي، محمد علي، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، دار المعالم الثقافية – الأحساء، 1979م.
- هنتس، فالتر (1970): المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان.

المقالات:

- البدوي، أمنة(2013): كتب فضائل بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي، تتبعها ودراسة في موضوعاتها ومحاورها، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، م21، ع2، ص(295- 314).
- بهجت، منجد مصطفى (1985): المستدرك على شعر ابن جبير، مجلة معهد المخطوطات، م29، ج1، ص(211- 215).
- البيشاوي، سعيد (2014): جماعيل" جماعين" في ظل الحكم الصليبي" 1099 -1187م/ 492 – 583هـ"، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، م 22، ع1، ص (343-368).
- المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة الفرنجة الصليبيين "492- 583هـ/1099-1187م"، مجلة النجاح للأبحاث، مجلد15، ص(361-396).
- التازي، عبد الهادي (1974): بلاد الشام في الوثائق الدبلوماسية المغربية، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ص(431- 488).
- حي المغاربة، موسوعة العتبات المقدسة ، قسم القدس، ج1، ص(97 -112)، 1987.
- الـــدوري، عبد العزيز (1992): القدس في الفترة الإسلامية الأولى، القدس في التاريخ، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية، عمان، ص(131-158).
- سلامة، جلال (2008): التهجير القسري لسكان فلسطين في العهد الصليبي في الفترة الواقعة بين 492ـــ551هـــ/1099ـــ1156م، مجلة جامعة القدس المفتوحة للدراسات والأبحاث، رام الله، عدد 13، ص(99- 230).

– المقاومة الشعبية في نابلس وريفها ضد الوجود الصليبي حتى عام 583هـ/1187م، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، م 21، ع2 ، ص(271–293).

– الهيلة، محمد الحبيب (1983): القدس وإشعاعها الثقافي في المغرب والأندلس من خلال الرحلات العلمية، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، م1، ص(291– 301).

المصادر والمراجع والمقالات باللغات غير العربية:

-Ehrenkreutz, A. S.,The Place of Saladin in The Naval History of the Mediterranean Sea in The Middle Ages,"Journal *of the American Oriental Society*" J.A.O.S.,Vol.,75,1955,P.P.100–117.

- Gibb,H., Arsuf, , E . I^2 . , Vol . , I , P.602.
- The Career of Nur -Al- Din ,"*A History of the Crusaders*" H. C., Vol .,I ,P.P.513–528.
- Hawthorn,R., The Third Crusade, ed by Kenwich, London , 1958.
- Hins ,F.,Dhira ,E. I^2 ,Vol , II. P.P. 231–232.
- Schlumberger, G.,Renaud de Chatillon, Paris, 1898.
- Wallis , G., Richard The Lion Heart , "*Encyclopedia Britanica*" E. B.,Vol ., I, P.P. 43- 45.
- Wiet ,G., Al – Afdal .B.Bader Al Djamali_, E . I^2., Vol .,1,P.P.215 – 216.
- http://www.sahab.net/forums/index.php?showtopic=39174 .